

خطب منبرية للشيخ عبد القادر بن مولود

جمعها: أ. جمال مرسلي

الجــزء الأوّل



58. فائدة تقدّم الشّعب في علومه وثقافته

28 شوال 1380هـ الـموافق 14 أفريل 1961م

الـحمد لله الّذي بيّن للمؤمنين طريقهم، كمـا بيّن للظّالـمين مصيرهم، {كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (54) وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ (55)} [الأنعام]، وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، له الـملك وله الـحمد، وهو على كلّ شيء قدير، وأشهد أنّ محمّدًا عبده ورسوله، الّذي قوّم أخلاق شعبه بأنواع الفضائل، وهداهم إلى الطريقة الـمثلى حتّى تميّزوا بأحسن الشّمائل، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وأصحابه الّذين ناضلوا في سبيل دينهم، وفي سبيل الـمحافظة على كيانهم ومجدهم، رضي الله عنهم ومن سلك مسلكهم إلى يوم الدّين.

أمّا بعد: فإنّ تقدّم الشّعب في علومه وثقافته هو توسيع لـمسرح حياته وتجواله، ونهوض بعقيدته وبدينه؛ لأنّ سعة الـميدان هو الّذي يكسب النّفوس راحة وعزّة واطمئنانًا، ويوسّع دائرة العقل في سير العلم والتّقدّم، وفي سائر الأبحاث الّتي تفتح آفاقًا واسعة لظهور النّبوغ والعبقريّة، وتوجّه الهمم إلى العمل والإنتاج في سبيل الـمصالح الـمشتركة الّتي تعطي ميزة العظمة والقوّة، وتكسب سائر أفراد الأمّة بعثًا جديدًا، ونشاطًا وحيويّة، وبذلك يزداد الشّعب تمسّكًا بدينه، واعترافًا بعظمة خالقه، ويدرك بعد ذلك طريق الـحقّ الّذي هو سبيل العزّ والشّرف والـحياة الـخالدة، ليتوصّل إلى إدراك كنه سرّ آيات الله، كما قال جلّ شأنه: {سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ} [فصلت: 53]؛ وليستطيع -أيضًا- أن يسير في طريقه، ويقطع جميع الـمراحل الّتي تكوّن استعداده، وتمهّد له كلّ العقبات الّتي تقف عرضة في سبيله.

والإنسان الّذي يرغب في كمال نفسه هو الّذي يرتفع عن الدّنايا، ويحقّق السّعي الّذي يكسبه فخرًا في حياته وقوّة في دينه.

وأنّ التّسابق الّذي نراه اليوم في ميدان العلم وتسخير ما في هذا الكون ليكون تحت سلطانه ونفوذه إنّما هو التّطوّر، وعلوّ الهمم الّتي تأبى الخلود إلى الذّلّ والجهل والاستكانة، مع أنّ المؤمنين الّذين هم أولى بهذه الرّوح الّتي تسعى في سبيل الرّفعة والعزّة، نرى الأكثريّة منّا تخلّفت عن هذا الرّكب، وتنكّبت عن كلّ السّبل القويمة.

ولكن يجب علينا أن ننهض بنفوسنا من هذه الغفوة، ونصحو بعقولنا؛ لنبصر الحقائق، وندرك كنه سرّ وجودنا في هذه الحياة، ونصلح من شؤوننا؛ حتّى يكتب لنا التّوفيق والهداية، كما قال الله -جلّ شأنه-: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ} [يونس: 9].